عَيْنُ المِيزَانِ فِي تَدَاوِلِ فِعْلِ الكَلام عَبْر الأزْمَانِ ـ قِرَاءَة موازّنة بَين الدّرس التُراثيّ واللِّسانيّ المُعاصِر

د.هناء محمود اسماعيل
الجامعة العراقية ـ كلية الآداب

ملخص البحث
شَهِد الدَرس اللسانيّ تَطورًا كبيرًا تَبَعًا لِتطوّر عُلُوم العَصْر وَتَقدّمها ، فَتَعددتُ طَرائِق البَحْث في تَحليل بِنَى النـُصُوص واسْتِكْنَاهِ مَدْلولاتِها ،واخْتَلفتْ وُجْهَات النّظَر فِيها تبعًا ؛ لاخْتِلاف مَناهِجِها ،وتَنوّع غَاياتِها ،وتَبايُن ثَقافَاتِها وبيئَتِها .
وَقَد تَراءى لَنَا بَسْطُ البحثِ في قِراءَة مَشْهَد الدّرس اللِّسانيّ المُعاصِر،واخْتَرنا مَبحثًا مِن المَباحِث اللّسانيّة المُهمَة وَهِو التّداوليّة ، وَسَنَقِف عَلى لـبِنَة أسَاسيّةٍ مِنْ لَبِنَات بِنائِها ،وَهِيَ الفِعْل الكَلامِيّ ،أو نَظَريّة (أفْعَال الكلام) كما شاعتْ لدى المعاصرين ،التي أسّس لَهَا عُلَماء العَربَ القُدَامَى؛ لِنَنطلِقَ مِنها إلى إشكاليّة الدّرس اللسانيّ المُعاصر ، وَمساراته .
وَقَد وَضَعتْ هَذِه الدّراسَة مَحاورَ للبَحث مِنْها : بَحثُ (التداوليّة) لغةً واصطلاحًا ،وَوَصفُ اللّغة بـ (المَلَكَة الاجْتماعيّة)، وَالتَعريفُ بنَظريّة (أفْعَال الكلامِ) ،وَبَحثُ إشكاليّة الصّراع بَيْنَ الأصَالةِ والتَجديد ،كَمَا حدّدت هَدَفًا موضوعيًا لها يَرمي إلى إحْياء الفِكر التّداوليّ عِند العُلماء العَرَب، وَالمُوازَنة بَيْن المُنْجَز الفِعْلِي الكَلامِيّ العَربِيّ والغَربِيّ بَعيدًا عَنْ بعض المواقِف الفكريّة التي تُورِثُ اللّبْسَ، وَالوَهْمَ ، والانبِهَار ،وَلِنَلتق بَعْدَها فِي ضَرورةٍ فِكريّةٍ ،وَهِيَ القِراءَة الرَّصِينة التي تَحْفظُ لِلغتنا العربيّة هَيبتَهَا، وَمَكانَتَها فِي ظِلِّ تَنامِي عُلوم اللِّسانِ ،مَا دُمْنَا وَرِثْنَا عُقولًا فَذّةً ، وَتُرَاثًا ضَخمًا قادرًا عَلى تَأصيل نَظريّة لسانيّة عربيّة فِي اللِّسانيّات .

Speech Acts Through Ages - A Comprative Study between Traditional and Modren Approches

Dr. Hanaa Mahmood Ismail
Iraqi University - College of Art - Arabic Language Dept.

Abstract
This study has been developed axes of the search, including: Search (deliberative) language and idiomatically, and Description Language (b social phenomenon), and the definition of the theory of (acts of speech), and discussed the problem of the conflict between tradition and innovation, as defined objectively have a target aimed at reviving the deliberative thought when Arab scholars , and the balance between the actual done Arab and Western rhetoric, but Meet in intellectual necessity, a sober reading that preserve the Arab language prestige, and its position in the light of the growing tongue Sciences, as long as we have inherited minds unique, and heritage huge able to consolidate the Arab theory lingual in linguistics.

المقدمة
الحَمْدُ لله الذّي جَعَل الحَمْدَ مِفْتاحاً لِذكْرِهِ ،وَخَلقَ الأشْياءَ نَاطِقَةً بِشكْرِهِ، ، والصَلاة وَالسّلام على النَبيِّ المُشْتَقُ مِنْ اسْمِهِ المَحْمُود ، وَعَلى آلِهِ وَصَحْبِهِ الطَاهِرينَ أوْلِي المَكَارِمِ وَالجُوُدِ ...
وَبَعْد :
شَهِد الدَرس اللسانيّ تَطورًا كبيرًا تَبَعًا لِتطوّر عُلُوم العَصْر وَتَقدّمها ، فَتَعددتُ طَرائِق البَحْث في تَحليل بِنَى النـُصُوص واسْتِكْنَاهِ مَدْلولاتِها ،واخْتَلفتْ وُجْهَات النّظَر فِيها تبعًا ؛ لاخْتِلاف مَناهِجِها ،وتَنوّع غَاياتِها ،وتَبايُن ثَقافَاتِها وبيئَتِها . وَكَانَ مِنْ بِينها التّداوليّة ؛ وهي مَبْحَثٌ لِسانيّ مُهمٌ يُعنَى بِتَفْسِيرِ الظَواهِرِ اللّغَويّة بِحَسْبِ دَوَاعِي الاسْتِعمَال وَمَقامَاتِه، وَدِراسَة دَقائِق العَلائِق بَين العَناصِر اللّغويّة، وَغَير اللّغويّة المُنْتِجَة لِلنَصِّ ، وَمِنْها : العَلاقَة بَيْنَ المُتَكّلم ، وَالمُخاطَب ،وَسِياق الحَالِ ،وَالمَوقِف الكَلامِيّ .
وَالمُتَتَبِّع لِهذَا الدّرس يَتَلَمّس اخْتِلاف الرُّؤى، وَتَنَازع القِراءات النَقديّة لِمَسَارات الدّرس اللِّسانِيّ المُعَاصِر مِمّا قَدْ يُكّونُ إشْكاليّةً لا يُمْكِنُ غَضّ الطَرفَ عَنْها ،وَهِي لا تَخْرُجُ عَنْ مَسَاراتٍ ثَلاثة :
١- الأوّل : مَرْجِعِيٌّ عَرَبِيٌّ تَأصِيلِيّ : استَمدّ رُؤيَتَهُ الفِكريّة والفَلسفيّة مِنْ كُنوز التُراث وَخزائِنِهِ المَوُرُوثَة.

٢- الثّانِي : حَضَارِيٌّ مُزْدَوَجٌ : وَقَفَ عَلى أعْتَابِ التُراثِ غَير مُتَنكّرٍ ،أو جَاحِدٍ ولكنّ بِتَوجهٍ حَضَارِيّ، وَتَفاعِل مَعْرِفِيّ جَدِيدٍ .

٣- الثَّالِث : حَدَاثِيّ غَربِيّ مُعَاصِر: تَمَسك بِخصوصية النَظريّات الغَربيّة والمَناهِج اللّسانيّة المُعاصِرة.

وَمَا بَيْنَ هَذِهِ المَسَارَات تَحيّر البَاحِثُ العَربِيُّ ، وَالدّارِس – وَلا سَيّما- طُلابُنا فِي الدّرَاسَات العُليّا فَإلى أيِّ طَرِيقٍ يَتَجِه ؟ وَعَلى أيّة ضِفْةٍ يَقِفْ دُونَ عَثْرةٍ أو زَلَلٍ ؟ فَنَرَاهُ تَارةً مُحَافِظًا، وَأخْرى مُقَلِّدًا لِكُل جَدِيدٍ ،وأخِيرةٍ يَتَوسطُ بَينَ الحَالين .

وَقَد تَراءى لَنَا بَسْطُ البحثِ في قِراءة مَشْهَد الدّرس اللّسانيّ المُعاصِر، واخْتَرنا مَبحثًا مِن المَباحِث اللّسانيّة المُهمَة وَهِو التَداوليّة ، وَسَنَقِف عَلى لَبِنَةٍ أسَاسيّةٍ مِنْ لَبِنَات بِنائِها ،وَهِيَ الفِعْل الكَلامِيّ ،أو نَظَرِيّة (أفْعَال الكلام) كما شاعتْ لدى المعاصرين ،التي أسّس لَهَا عُلماء العَرب القُدَامَى ؛ لِنَنطَلِقَ مِنها إلى إشكاليّة الدّرس اللسانيّ المُعاصر ، وَموقِفَه مِنْ هَذِه المَسَارات ؛ ذلك أنّ كثيرًا مِنْ المَناهِج ، وَالنظريّات الحَديثة قَد اكْتَسبتْ أهَميتَها ، وَتكوينَها فِي أزْمَانِها ،وَأمَاكِنِها، وَبيئتِها وَهُو مِعيارٌ مُهمٌ فِي إنْتَاج المَعرفَةِ ، وَالتأريخ لَها إذَا مَا أرِدْنَا نِسبَة نَظريةٍ لِفردٍ ،أو لِقومٍ ،أو لغةٍ...

وَقَد وَضَعتْ هَذِه الدّراسَة مَحاورَ للبَحث مِنْها : بَحثُ (التداوليّة) لغةً واصطلاحًا ، وَوَصفُ اللّغة بـ (المَلَكَة الاجْتماعيّة) ، وَالتّعريفُ بنَظريّة (أفْعَال الكلامِ) ،وَبَحثُ إشكاليّة الصّراع بَيْنَ الأصَالةِ والتّجديد ،كَمَا حدّدت هَدَفًا موضوعيًا لها يَرمي إلى إحْياء الفِكر التّداوليّ عِند العُلماء العَرَب ، وَالمُوازَنة بَيْن المُنْجَز الفِعْلِي الكَلامِيّ العَربِيّ والغَربِيّ بَعيدًا عَنْ بعض المواقِف الفكريّة التي تُورِثُ اللّبْسَ ،وَالوَهْمَ ، والانبِهَار ، وَلِنَلتقِ بَعْدَها فِي ضَرورُرةٍ فِكريّةٍ ،وَهِيَ القِراءَة الرَّصِينة التي تَحْفظُ لِلغتنا العربيّة هَيبتَهَا، وَمَكانَتَها فِي ظِلِّ تَنامِي عُلوم اللّسانِ ،مَا دُمْنَا وَرِثْنَا عُقولًا فَذّةً ، وَتُرَاثًا ضَخمًا قادرًا عَلى تَأصيل نَظريّة لسانيّة عربيّة فِي اللّسانيّات .

- **التداوليّة في اللغة والاصْطلاح**

شهد الدّرس اللسّانيّ المُعاصر أطرًا جديدةً ، ومناهجَ مُتباينةٍ في تَحليل بِنَى الخِطاب ؛

" فلم يَعُد التيّار البنيويّ والتوليديّ في أيامنا التَيارَين الوَحيدين اللذَين يُهيمنانِ على سَاحة الدراسات اللسانيّة ، فقد أفرزت المَعرفة نظرياتٍ ومفاهيمَ لغويةٍ مُتباينةٍ في الأُسس المَعرفية انبثقت عنها تياراتٍ لسانيّةٍ جَديدةٍ منها التيّار التداوليّ " [١] .

و طرحتْ كثيرًا من التساؤلات التي تجاوزها البحث البنيويّ والأنظار اللسانيّة الفلسفيّة السابقة ، منها :

- مَنْ يَتكلم ؟
- لِمَنْ يَتكلم ؟
- مَتى يتكلم؟
- كيفَ يَتكلم ؟

انتظمت هذه التساؤلات في جُملة من المفاهيم والأفكار والتصّورات عَاضَتدها فلسفات وعلوم معينة في اتجاه اعتمد مَشَاربَ مُتباينةٍ ومُتفاوتةٍ في تحليل النصّ والخطاب أوْلَت المُتكلِّم ،والمُخَاطَب ،وظُروف الكلام ومُلابَساتهِ وأحواله أهميّة كبيرة ، ألا وهو التداوليّة .

على أن مفهومها تَتجاذَبه كثير من المفاهيم والفلسفات والمنطلقات الفكريّة ،والفلسفيّة ، والعلميّة فضلا عن اختلاف القراءات النقديّة للتداولية في المفهوم والاصطلاح ، فقيل : البراجماتية، والبراغماتية ، والبراغماتيك إلخ، لكنّ المصطلح الأشهر في الاستعمال هو التداوليّة.

وتشير الدلالة اللغوية للتداولية إلى المُداوَلَة والتَعَاوُر والتَبدّل ، ففي أساس البلاغة للزمخشري (ت٥٣٨هـ) :" دَالتْ له الدولة ، ودَالتْ الأيامُ بكذا ، وأدَال اللهُ بَنيّ فلان من عدّوهم: جَعل الكَرَّة لهم عليه، وعن الحجّاج: إنّ الأرضّ سَتُدال منّا كما أُدلنا منها، وفي المثل:(يُدال من البقاع كما يُدال من الرجال)، وأُديل المؤمنون على المشركين يومَ بدرٍ، وأديل المشركون على المسلمين يوم أحد، واسْتدلْت من فلان لأدال منه ، واستدلّ الأيام: استعطفها "[٢] .

وفي لسان العرب لابن منظور (ت ٧١١ هـ)" تَداوَلْنا الأمرَ: أخذناهُ بالدّوَل. وقالوا: دَوَالَيْك: أي مُداوَلَة على الأمر؛ قال سيبويه: وإنْ شئتَ حَملتهُ على أنه وَقع في هذه الحال، ودَالَت الأيام: أي دَارتْ، واللهُ يُدَاوِلها بَين الناسَ، وتداولتهُ الأيدي: أخذته هذه مرَّة وهذه مرَّة، ...وَتداوَلْنا العملَ والأمر بيننا بمعنى تَعاوَرْناهُ فعَمِل هذا مَرّة وهذا مرة " [٣] .

والمُلاحَظ أن المعاني اللغويّة لا تخرج في دلالتها عن التَداول، والتعاور، والتناقل، والتناوب ، والتحوِّل، والانتقال من حالٍ إلى أخرى ،ومن مكانٍ لآخر ..ومن ثَمَّ انتقلت الى الدلالة الاصطلاحية ، بانتقال اللغة و السلوك اللغوي وتغيّر دلالته بحسب ظروف الكلام من المتكلم إلى السامع ..

أمّا في الاصطلاح فقد تعدّدت مفاهيم التداوليّة التي تربط بين اللغة ووظيفتها الاستعماليّة منها أنّها :" الدراسة التي تُعنَى باستعمال اللغة ،وتهتم بقضية التلاؤم بين التعابير الرمزيّة ،والسياقيّة ،والمَرجعيّة، والمقاميّة، والحَدثيّة ،والبشريّة " [٤] ، وهي "علم الاستعمال اللغويّ [٥]". وأضاف الدرس المُعاصر بُعْدًا لسانيًا للغة المُستعملة وهو (التواصل) لتعدو التداولية "علم التواصل اللغويّ وتفسيره "[٦] فهي " الدِّراسة والتخصُّص الذي يندرج تحت اللسانيّات، ويهتم أكثر باستعمال اللغة في التواصل "[٧] على حين اصطلح البحث اللسانيّ الحديث اصطلاحًا جديدًا يقارب المفهوم الدلالي والوظائف الاستعمالية الفعليّة للغة ، ولأفعال الكلام وهو "علم الفعليات "[٨].

يبدو أن مصطلح التداوليّة (Pargmatique) يعتريه الغموض في ترجمة الاصطلاح ؛ " إذْ يقترن به ، في اللغة الفرنسية المعنيان (محسوس) و(ملائم للحقيقة) ، أما في اللغة الإنكليزية ،وهي اللغة التي كتبت بها أغلب النصوص المؤسسة للتداولية فإن كلمة (Pargmatic) تدلّ في الغالب على (ما له علاقة بالأعمال الحقيقية والواقعية)" [٩].

فالمصطلح العربيّ المُترجَم المُوافِق للتداوليّة (pragmatics) باللغة الإنكليزية ، وليس ترجمة لمصطلح(pragmatisme) باللغة الفرنسيّة، الذي يعني الفلسفة النَفعيّة الذرائعيّة. وعليه يجب التفريق بين النفعيّة (Pragmatisme) والتداوليّة (Pragmatique) من حيث الترجمة والهدف ؛"فالنفعيّة نظريّة فلسفيّة عامة للعقلانية المُلاحَظَة بوصفها مُتصِّلة بالمصالح الأساسية للإنسان " [١٠] .

وشَاعت النَفعيّة بمفهوم الذرائعيّات أو الذريعيّات عند المترجمين" وهو استعمال خاطئ ؛لأنه استعمل أساسًا للدلالة على المدرسة الفلسفية الأمريكية المعروفة " [١١] .

وكان لتعدد مصادر التداولية ،وتنوع مشاربها، التي تتجاذبها العلوم الإنسانيّة الأخرى ، ومنها : علم الاجتماع ، والأنثروبولوجيا وعلم النفس ، وعلم المَعْنى ... اتساع المفاهيم والقضايا التي تدرسها ؛إذ كانت في البدء ثوبًا فَضفاضًا للسانيّات التي تدرس الأعمال الهامشيَة ، وغير المؤسسّية[١٢].

وقد لا يبدو هذا لدينا لأول وَهلةٍ مَنْقَصةً أو نقدًا سلبيًا ؛ لأنه أسهم بطريقة أو بأخرى في اتساع الأفق المعرفيّ لها مما كوّن حَصيلةً ثقافيّةً ومعرفيّة قويّة في تحليل النصوص في الحقول المعرفية بأكملها قبل أن تتخصص ويتحدد منهجها في إطار العلائق التداوليّة التي تحيط بالنص .....

وفي الاستعمال اللسانيّ الحديث ارتبط ظهور التداولية في نشأتها الأولى بـ(السيميائيّة) ، ويُنسَب إلى الفيلسوف الأمريكي تشارلز موريس عام (١٩٣٨م) في كتابه (أسس نظرية العلامات)، ففي تعريفه للتداولية يقول:" التداولية جزء من السيميائية التي تعالج العلاقة بين العلامات ومستعملي هذه العلامات"[١٣] .

أما عند المحدثين فبالإمكان إرجاع بدايتها الأولى إلى الخمسينيات من القرن العشرين بالتحديد سنة(١٩٥٦ م)، وإلى أولى مقالات شومسكي، وسيمون..... وإلى سنة (١٩٥٥ م) عندما ألقى جون أوستين محاضراته في جامعة هارفرد (محاضرات وليام جيمس) ،غير أنها لم تأخذ الاهتمام في الدرس اللسانيّ المُعاصر إلا في سبعينيات القرن الماضي بعد تطويرها على يد فلاسفة اللغة المنطلقين من أصولهم الفلسفيّة أمثال : أوستن ، وسيرل وجريس..... [١٤] .

- **اللغة مَلَكة اجتماعية**

استند البحث التداوليّ إلى التمييز بين الكِفايَة اللغويّة ،والأداء اللغوي، وربط اللغة بالاستعمال ،وبالموقف الاستعمالي للفرد ، أو الكيفية الكلاميّة الفردية داخل الجماعة اللسانيّة، وهي الآراء التي نادى بها فريناند دي سوسير بتفريقه بين الكلام واللغة وحديثه عن دراسة اللغة لذاتها ، فاللغة بوصفها (سلوك اجتماعي) تفترق عن الكلام بوصفه (السلوك اللغويّ). فاللغة لا تخرج عن كونها نظامًا اجتماعيًا مستقلا، والكلام هو الإنتاج الفعليّ للغة المُتحقِّق في رموز تُحقِّق التواصل بين أفراد المجتمع " اللغة نتاج اجتماعي لمَلَكَة اللِّسان ، ومجموعة من التقاليد الضروريّة التي يَتبناها مجتمع ما ؛ ليُساعد أفراده على ممارسة هذه المَلَكَة " [١٥] .

وقد ردَّ العالم اللسانيّ الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح المعروف بدفاعه عن الفكر اللغويّ العربيِّ وعن النظريّة الخليليلة وأكد سبق العرب إلى هذا المفهوم قال : "ويجب أن نلاحظ أيضًا أن النُحاة العَرَب كانوا يعبّرون عن هذين المفهومين لا باللِّسان ،أو اللغة في مقابل الكلام ، بل بكلمة (وَضْع) في مقابل الاستعمال أو التأدية أو الأداء ،وهم أول مَنْ بيّن الفروق بينهما ،وكانوا قد بَنوا جميع تحليلاتهم عليها "[١٦] .

واللغة في حدِّها كما وصفها ابن جني (٣٩٢هـ) " أصواتٌ يُعبِّر بها كُلّ قوم عن أغراضهم "[١٧] ، وهي كائن اجتماعي ،والسِّمة الاجتماعية تحدّدها طبيعة الاستعمال ممّا يتيح لها النمو والتطّور بحسب استعمالها بين أفرادها في المجتمع ؛ذلك أن " الإنسان مَدَنيٌ بالطّبع" [١٨] .

واللغة مَلَكةٌ اجتماعيةٌ صِناعيةٌ تَتَحصّل بالدُرْبَة والمُمارَسَة والاعتياد حتى تصبح مَلَكَة في اللِّسان مدارها الفهم والإفهام ومُراعاة مُقتَضى الحال وُصولًا إلى بلاغة الكلام ، وهو ما وصفه ابن خلدون في قوله :" إنّ اللغات كلّها مَلَكاتٌ شبيهةٌ بالصناعةِ ؛إذ هي مَلَكاتٌ في اللِّسان للعبارة عن المعاني وجَودتِها وقُصُورها بحسب تمام المَلَكَة أو نُقصانها وليسَ ذلك بالنّظر إلى المفردات ،وإنّما هو النّظر إلى التراكيب ،فإذا حَصَلتِ المَلَكةُ التامّةُ في تركيب الألفاظ المُفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ،ومُراعاة التأليف الذي يُطبِّقُ الكلام على مقتضى الحال بَلغ المتكلم حينئذٍ الغاية مِن إفادة مقصودِهِ للسامع ،وهذا هو معنى البلاغةِ ، والمَلَكات لا تَحْصُلُ إلا بتكرار الأفعال " [١٩] .

وقد استثمر اللسانيون المعاصرون في مدرسة لندن ،منهم جون لاينز، وفيرث الأبحاث اللسانية الاجتماعية وطوروها ، مؤكدين أهمية الوظيفة الاجتماعيّة للغة وهي بؤرة ومرتكز علم الدلالة الحديث[٢٠] .

وتتمثل نظرية فيرث في المعنى ومحاولته ربط اللغة بالاستعمال، ومقتضى الحال ، والسياق متأثراً بآراء عالم الأنثروبولوجيا مالينوفسكي :" وممّا لا شك فيه أن نظرية فيرث في علم اللغة تعتمد على الأسس التي وضعها الأنثروبولوجيّ البولندي مالينوفسكي صاحب مقولة :إنّ رؤية اللغة كوسيلة لنقل الأفكار من رأس المتكلم إلى رأس السامع ما هي إلاّ خُرافة مُضلِّلة ؛ لأن اللغة في الاستعمال البدائيّ ليست سوى حلقة اتصال في النشاط البشريّ ،واللغة ليست قولًا ،بل هي في واقع الأمر عمل "[٢١] .

ويرى فيرث أن استعمال اللغة محكوم بمبادئ أساسية وهي :

١- " السياق ،وهو على نوعين : سياق لغويّ ،وسياق الحال (وهي الظروف الاجتماعيّة والبيئة الثقافية للمتكلمين).
٢- المقام : ويعني بهما المتكلم والمستمع.
٣- الموضوع وهما الزمان والمكان ، ودواعي إنتاج الجملة أو العبارة " . [٢٢]

وعليه يتحدّد معنى الجملة عند فيرث بأنّه "مجموعة من العَلاقات والخصائص اللغويّة التي يكشف عنها الموقف المعين الذي يُحدِّده السياق " [٢٣] .

فالسياق و المقام ومقتضى الحال هي الأفكار التي بُني عليها المعنى الاجتماعي ، وقد وجدت هذه الأبحاث صداها في البحث اللسانيّ العربيّ لدى الدكتور تمام حسان ،مُصطلِحًا على المعنى الاجتماعي بـ " المعنى المَقاميّ " [٢٤] ، و مُمِّيزا بين الاستعمال الوظيفي للغة عند المتخصِّص وغير المتخصص، ؛إذ ميّز "بين استعمال اللغة كوظيفة للمتكلم ،والبحث اللغويّ كوظيفة لعالم اللغة الذي يعتمد على استقراء الظاهرة لوصف الواقع اللغويّ " [٢٥].

ومن الجدير بالإشارة أنّ " فاعلية النصوص لا تظهر إلاّ من خلال مجموعة من العوامل السياقيّة التاريخيّة والنفسيّة والاجتماعيّة بما يُصْطَلح عليه قديمًا (الحال) ،وحديثًا بـ(سياق النص)" [٢٦] .

ومن نافلة القول وإنصافًا للتراث نقول : إن حقيقة ربط اللغة بواقع الاستعمال ، وأحواله قضية قُدمَى درسها علماؤنا ومفكرونا العرب من نحاة ،وأصوليين وبلاغيين وكونت أساسًا مهمًا من نظريتهم وفكرهم اللغويّ . فقد ربطوا اللغة بالموقف الاستعماليّ (التداوليّ) ، بَيد أنه ورد في دراساتهم باصطلاح آخر هو (المقام)وما قولتهم البلاغية المشهورة " لكلّ مَقامٍ مَقال ،وَلكلّ كلمة مع صاحبتها مقام ". [٢٧] إلّا خيرُ شاهدٍ ودليلٍ على ذلك .

وَشَاع لدى علماء النحو الأوائل مُصطلح (مُراعَاة المُخاطَب) حين ربطوا بين دلالة الكلام القوليّة الكلام ودلالته التأثيريّة الفعلية على المتلقي وأثرها في بناء الأحكام النحويّة ، " فقد كان لسيبويه قصب السبق في بيان أهمية علم المخاطب ومعرفته بما يُخبَر به ، فنقل عن الخليل كثيرًا من التعليلات والأحكام التي بُنيت على علم المخاطب بما يُراد به ، لذا يخرج المَعنى إلى كثير من المعاني ،أو يُصاغ بصيغ يُحذَف فيها الفعل ، أو المبتدأ أو الخبر بناءً على عِلم المُخاطَب"[٢٨].

ودلالة العناصر غير اللغوية في النص من ظروف وملابسات وعلاقة المتكلم بالمخاطب ،ومقام الحال له الأثر البيّن في استقراء الحكم النحويّ - ولا سيما في القرآن الكريم – وهذا ما نلحظه في ظواهر نحوية كثيرة ،منها : التقديم والتأخير ، والحذف والذكر ،والتذكير والتأنيث[٢٩].

من ذلك نخلص إلى القول أن العَلاقة بَينَ اللّغة والفِكر عَلاقَة مُتلازمة وَشَائكة ارتبطت بالفلسفة في كثير من اتجاهاتها ، واتخذت حيزًا واسعًا من تفكيرهم وهي مَنْ قادتْ إلى المنهجية في البحث :" ولكنها أخذت تتجه عند فلاسفة اللغة المتأخرين نحو منهجية الدرس اللغويّ والبحث في فلسفة اللغة ، فالمعنى جزء من الفكر ،ولا سبيل للبحث فيه كونه ضربًا من الميتافيزيقيا ،والفكر محسوس باللغة ،واللغة تحتاج إلى منهجية للبحث فيها ،فكانت المنهجية اللسانية بنظرياتها المتعددة أكثر ما شدّ الباحثين في القرن الحالي على الأقل ،مع أن قسمًا من الفلاسفة أبدوا تحفظًا شديدًا نحوها الى أن جاء العالم اللغوي المعاصر تشومسكي بنظريته التوليدية ليجعل الصلة بين اللسانيات وكل من الفلسفة وعلم النفس وثيقة قوية ، بل متداخلة الى الحد الذي جعل الفلاسفة يتخذون من اللسانيات ومناهجها منطلقًا لنظرياتهم ، وآرائهم الفلسفية"[٣٠].

- **نظرية أفعال الكلام : (Theory of speech act)**

شغلت أقوال المتكلمين وأفعالهم جزءًا كبيرًا من أبحاث العلماء والدارسين قديمًا وحديثًا ، ويُعدّ الفعل الكلاميّ اللَبِنَة والركيزة الأساس التي بُنيتْ عليها التداوليّة. وينسب الدارسون المُحدثون تطور هذا المفهوم إلى ما يُعرَف بـ (نظريّة أفعال الكلام) ،وهي النظرية التي شاعت لدى المعاصرين تنظيرًا وترجع في أصولها التنظرية والتطبيقية إلى الفلسفة التحليلية و جهود الفيلسوف الإنكليزي (ج . ل . أوستين) (١٩١١- ١٩٦١م) في محاضرات وليم جونسن التي ألقاها في جامعة هارفرد (١٩٥٥ م) (كيف تنجز الأشياء بالكلمات) ، وتلميذه جون سيرل (المولود١٩٣٢م).... اللّذَينِ وضعا نواة التداولية ، وطوّرَا من وجهة نظر المنطق التحليلي مفهوم العمل اللغوي(acte de langage)،وتفريقهما بين لسانيات التلفظ ،والكفاية الإنجازية ، والدلالة التأثيرية[٣١] .

ويُعرّف الفِعْل الكَلاميّ على إنه : " التصرّف ، أو (العمل)الاجتماعيّ أو المؤسساتيّ الذي يُنجزه الإنسان بالكلام"[٣٢] ، و هو " الإنجاز الذي يؤديه المتكلم بمجرد تلفظه بملفوظات معينة ،ومن أمثلته : الأمر والنهي ،والوعد ،والسؤال ، والتعيين ،والإقالة ، والتعزية ،والتهيئة ...." [٣٣] .

وهي تقابل في التراث العربي " المقاصد والمعاني والإفادات التي تُستفاد من صيغ التواصل العربي وألفاظه : كمعاني الأساليب العربية المختلفة ،خبرية كانت أم انشائية ودلالات (حروف المعاني) ودلالات الخوالف ،وأصناف أخرى من الصيغ والاستعمالات العربية "[٣٤] .

ويتحدّد مفهوم الفعل الكلاميّ بأنه :" كل ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيريّ فضلاعن ذلك يُعّد نشاطا ماديًا نحويًا يتوسّل أفعالاً قولية لتحقيق أغراض إنجازية (كالطلب والأمر والوعد والوعيد...) وغايات تأثيرية تخص ردود فعل المتلقي كالرفض والقبول "[٣٥] .

وتتمثّل خصوصية عمل أوستين ونظريته بـ :

١- " إنه كان يلحّ على القيمة التداولية لعبارات لغوية كثيرة تستخدم في اللغة الانكليزية ،وربما في كل اللغات .

٢ - ومن الجديد الذي يُخالِف به الفلاسفة الكلاسيكيين ، ويوافق به أسلافه من فلاسفة التحليل إدخاله مفهوم (القصديّة) في فهم كلام المتكلم ،وفي تحليل العبارات اللغوية ،وهو مبدأ أخذه من الفيلسوف (هوسرل) والظاهراتين ، واستثمره في تحليل العبارات اللغوية. وتتجلّى مقولة القصديّة بالخصوص في الربط بين التراكيب اللغوية ومراعاة غرض المتكلم والمقصد العام من الخطاب في إطار مفاهيمي مستوف للأبعاد التداوليّة للظاهرة اللغوية "[٣٦] .

فلم تعدّ وظيفة اللغة وظيفة وصفية هدفها وصف الواقع الخارجي بعبارات إخبارية ،محتملة للصّدق والكذب في حال مطابقتها للواقع أو لا ...بل تجاوزتها إلى ارتباط الأفعال بدلالتها الفعلية الإنجازية ، مثل الفعل أقسم، أو قَبلتُ في البيع والشراء، أو زوّجتك ابنتي، أو طلّقتك،....فهي أفعال تخرج عن الوصف وبذلك عن الصدق والكذب، إلى أفعال تُنْجزُ حَال النُّطق بها في المواقف المناسبة[٣٧] .

وميّز أوستين بين ثلاثة أفعال: الصوتيّ (الفونطيقيّ)، والكلاميّ، والخطابيّ :

١- " الفعل الفونطيقيّ فهو مجرد فعل التلفظ ببعض الأصوات المقروعة المحمولة في الهواء .

٢- الفعل الكلاميّ ،وهو النطق ببعض الألفاظ والكلمات أي إحداث أصوات على أنحاء مخصوصة ،متصلة على نحو ما بمعجم معين ،ومرتبطة به ،ومتمشية معه وخاضعة لنظامه .

٣ - الفعل الخطابيّ فهو طريق تأدية الإنجاز ، وكيفيته باستعمال تلك الألفاظ مقرونة إلى حدٍ ما ،وبمعنى ما بالمعنى والمرجع، وهكذا (إذا قال قائل (إن القطة توجد فوق الوسادة) ، فهو يُخبِر بفعل كلاميّ ، بينما(إذا قال (بأن القطة كانت موجودة فوق الوسادة) فهو مُخبر بكلام خطابيّ "[٣٨]

ومحور هذه النظرية يقوم على التفريق بين مكوِّنات الكلام على أساس التحليل الإنجازيّ ،والقدرة الإنجازية لفعل القَول ،والفعل التأثيريّ لفِعل الكلام في نُفوس مُخاطبيه وسَامعيه .وهو جَوهر العمليّة الكلاميّة وهو التأثير والإقناع في الخِطاب.

إلا أن ما قدمه أوستين لم يكن كافيًا لتكامل نظرية الأفعال الكلامية ،فجاء تلميذه جون سيرل في كتابه أفعال الكلام(Les actes de langage essai de philosophie du langage) وأكمل عمل أستاذه أوستين، مُستنِدًا إلى التقسيم الثلاثي لأفعال الكلام وتأثيراتها الإنجازية غير أنه أكد على معيار القصدية[٣٩]، فقد " رأى سيرل أن الأفعال المتضمنة في الأقوال قصدية، فإذا أنت (لم تقصد أن تعطي وعدًا، أو تصدر حكمًا، إذًا فأنت لم تُطلق حُكمًا، غير أن الأفعال التأثيرية لا يجب أن تؤدى قصديًا بالضرورة قد تقنع شخصا بشيء ما ،أو تدفعه إلى فعل شيء دون أن تقصد ذلك) على الرغم من أن العمليتين مرتبطتان، فالأولى عادة ما تقود إلى الثانية ، بيد إن سيرل لم يكتف بذلك التمييز على أهميته، بل عمد إلى تتبع طبيعة بناء الملفوظ المقترن بما سمّاه الفعل المُتضمّن في الكلام، مُحددًا الشروط التي تضمن إنجاز الفعل، إذ إلى جانب القصدية، يراعي الفعل من حيث محتواه ونمطه.، ومن ثم يصبح الإنجاز مقرونًا بطوابع دلالية وأخرى شكلية"[٤٠].

وقد حدّد مجموعة من القواعد والشروط جعلها مدار نجاح الأفعال التي تتضمنها الأقوال ، وهي كالآتي :

١- **القواعد التمهيدية (التحضيرية)** : وتخص شروط التواصل، إذ تستدعي أن يتحدث المتكلم بلغة يفهمها السامعون، تضمن للمتكلم القدرة على إنجاز الفعل ، وتجعل السامع مدركا لإمكانية فعله أيضا.

٢- **قاعدة المُحتوى القَضَوي** : ومنه يتم إعلان حدوث فعل في المستقبل من المخاطب، فالوعد مثلا يقتضي من المتكلم إنجاز فعل في المستقبل.

٣- **القواعد الأساسية** : وتتضمن محاولة تأثير المتكلم في المخاطب لينجز فعلا.

٤- **النزاهة** : تستدعي أن يكون المخاطب راغبًا في جعل المخاطب ينجز فعلا(ويشترط في الإثبات أو الوعد أن يكون نزيهًا).

٥- **القاعدة الجوهرية** : إلتزام المتكلم بإثبات النزاهة، مع تحديد نوع التعهد المُعلن. المَقصديّة والمواضَعات: تحدد المقاصِد والطرق اللسانية المختارة لتنفيذ المقاصد بناء على المواضعات اللغوية." [٤١] .

على أن هذه الشروط قد لا تتطابق أحيانًا مع معيار القصدية لاختلاف مقاصد المتكلم وتنوع أساليب الخطاب ،ومقامات الخطاب وهي مقامات متعددة يصعُب حصرها.

وتقترب التداولية في اعتمادها معيار القصدية من علم اللغة النصيّ الذي كان أهم مجالاته تداوليات النص ، والتمييز بين العناصر الداخلية والعناصر الخارجية المُنتجِة للنص ، فقد كان دوبو جراند ودرسلر قد حدّدا معايير سبعة واستراتيجيات لتحليل بنية النص وعلاقته العناصر غير اللغوية المكوِّنة له ، لتحقيق ما يطلق عليه (النصيّة Textualitat) هي : الربط ،والتماسك ، والقصدية والمقبولية ،والإخبارية ، والموقفية ، والتناص . [٤٢]

ولا يتسع المقام لاستعراض جوانب نظرية أوستين بأكملها فقد تكفّلت به دراسات كثيرة[٤٣]، ولكن حسبنا الاستدلال للموازنة بين البحث اللساني المعاصر والقديم ، فقدعُني التراث اللغوي القديم على اختلاف منطلقاته الفكرية والفلسفية بأقوال المتكلمين وأفعالهم ، وربطها بالموقف ودواعي الاستعمال ،ورصد الظاهرة اللغوية رصدًا دقيقًا، وفرّق القدماء بين الكلام والقول، والتكلّم والتكليم وربطوا بين أركان العملية الكلامية وهي المتكلم والمخاطب والموقف الكلامي ربطًا دقيقا لا نغالي اذا ما قلنا انهم لم يسبقهم اليه نظير ... فقد أثبت البحث النحوي الحديث أن النحويين الأوائل " كانوا يُؤسسّون لمفاهيم القرائن المعنوية وأحوال المقام ،بما يدلّ دلالة واضحة على شيوع تلك المفاهيم في بيئة الدرس النحوي وغناه بهذه الدلالات ،وتجدر الإشارة إلى أن هذا اللون من التفكير كان معروفًا لدى علمائنا المُتقدمين من مُفسِّرين ،ونَحْويين وأصوليين ولغويين ،إلاّ أن النحاة كان لهم فضل التأسيس المُبَكِّر لهذه الاتجاهات الفكرية والمعنوية في البحث النحوي ،فكانت لهم نظرات عميقة وآراء ثاقبة في مراعاة المخاطب والمقام وكل ما يحيط بالنص من أحوال " [٤٤] .

ولا يخفى أثر البلاغيين العرب في البحث التداولي: " وكان البلاغيون القُدامى تداوليين ، او كانوا يفكرون في الصّلة القائمة بين اللغة والمنطق (المنطق الحجاجي) من جهة ، وآثار الخطاب في السامع من جهة أخرى . وقد طوّروا منذ

افلاطون وأرسطو وصولًا إلى سيناك ، وشيشرون ، وكونتليان منوالًا كلاسيكيًا للبلاغة يقوم على معرفة الانفعالات والطبائع " [٤٥] .

إن تعارُف العلماء العرب على مفاهيم الفعل الكلاميّ كان مَدعَاةً لنا لأن ننظر ونتمعن فيما جادت به عقولهم ،وقد سَبقنا باحِثينَ استوقفتهم مواطن التشابه، والتقاء الفكر فكانت محور تساؤلات فكرية تبحث عن إجابة شافية تجعلُ من الباحث يتخذ موقفًا فكريًا واضحًا منبثقًا من رؤيّة علميّة منهجيّة .

وعند إنعام النظر والموازنة بين النظرية الغربية عند أوستين وتلميذه سيرل وجهود العرب نجد أن البحث اللساني الحديث قد أثبت سبق علماء الأصول وعلماء الكلام والنحويين والبلاغيين إلى نظرية الكلام بالدليل ،ولكنهم اختلفوا عنها في المصطلح ، وهو ما فصّله الدكتور هشام الخليفة في دراسته الموازنة المستفيضة (نظرية الفعل الكلامي) سنشير إلى مواطن بعض منها :

١- " وكان علماء الأصول وعلماء الكلام من المعتزلة وغيرهم مدركين تمامًا لأنواع وعناصر الفعل الكلامي الثلاثة التي جاء بها أوستين أي :فعل القول ،والفعل الكلامي ،والتأثير الكلامي ... و الاختلاف بين اكتشافاتهم واكتشافات اللغويين المعاصرين يكاد ينحصر في المصطلح المستخدم ، والتفاصيل الفرعية كتركيز اللغويين المعاصرين على استخدام أمثلة من الحياة اليومية بصورة أكبر بينما كانت غالبية الأمثلة التوضيحية التي جاء بها الأصوليّون وعلماء الكلام والبلاغيون العرب هي من النص المكتوب وبالأخص القرآن الكريم والحديث الشريف." [٤٦] .

٢- إنّ الاختلاف بين النظريتين قد جاء في المصطلح ، فجاء اصطلاح العلماء العرب عليها بما كان متعارفًا وشائعًا عندهم :" أما من ناحية المصطلح فلا يقلل من قيمة اكتشافاتهم أنهم سمّوا أفعال الكلام والإنجازيات بتسميات أخرى مثل (الإنشاء) بنوعيه (الطلبي وغير الطلبي) أي الإيقاعي . ولا يهم أيضًا أنهم استعملوا مصطلح (إرادة إحداث الصيغة) للدلالة على (فعل القول) ، أو مصطلح (إرادة الفعل أو الأثر المطلوب)للدلالة على التأثير الكلامي) أو نتائج الكلام ،(وفي حالة الأمر يسمّون هذا الأخير إرادة المأمور به ،أو إرادة الامتثال) "[٤٧] .

٣- سبق العرب غيرهم بالتعارف على مفاهيم النظرية وباصطلاحات مختلفة ؛ إذ" إن اللغويين العرب والمسلمين قد فطنوا إلى نظرية أفعال الكلام قبل نظرائهم الغربيين بمئات السنين...فقد ميّزو الوظيفة الخبرية للغة عن وظيفتها الإنشائية أو الإنجازية . وعزلوا المقولات الإنجازية، والتي يكون وجود لفظها إيجادًا لمعناها، أو على حد تعبير اللغويين أنها تُسميّ نفسها بنفسها ، وأن مجرد النطق بها يُعدُّ إنجازًا لفعلها الكلامي ، وقد أطلق العرب على هذه الظاهرة اسم (الإنشاء) أو (الإيقاع) أو (الجمل الانشائية) أو (الاستعمال الانشائي والإيقاعي للكلام) ." [٤٨] .

٤- إن فكرة كون اللغة وسيلة للإخبار وليست لوصف اللغة فقط شاعت لدى الأصوليين العرب بمصطلحي (الإنشاء والإيقاع) " وهذه الفكرة تكاد تكون مقترنة باستخدام مصطلح (الإنشاء) و (الإيقاع) ؛لأن مثل هذين المصطلحين عن إدراك لكون الكلام نوعًا من الفعل أو الإنجاز ،وقد كان المصطلحان معروفين لدى الأصوليّن ،ممّا يدل على إدراكهم للصفة الإنجازية للكلام ،ثم جاء البلاغيون فاستعاروا مصطلح الإنشاء "[٤٩] .

٥- أما البلاغيون فقد تعارفوا على مصطلح معاني الكلام ؛إذ " كان البلاغيون حين يصفون أفعال الكلام أو (معاني الكلام) – على حد تعبيرهم يذكرون المقاييس المستخدمة في التصنيف ،وخصوصًا عند التفريق بين النمطين الرئيسين للكلام أي الخبر والإنشاء ،ومن تلك المقاييس يتبين إدراكهم للصفة الإنجازية للإنشاء لأنه (يُنشئ أو يوجد معناه)" [٥٠] .

٦- مسألة الافتراض المسبق التي تستند إليها التداولية نجد شيوعها بين النحويين القدامى عند الخليل وتلميذه سيبويه باصطلاح معرفة المخاطب أو علم المخاطب ،لذا تصبح مسألة تقدير العامل المحذوف في النعت المقطوع أمرًا غير منطقي ولا يتناسب مع الحال ،ولا مع ذكاء المخاطب وبديهيته ،قال سيبويه في باب ما يُنصَب على التعظيم والمدح : "إن نصبَ هذا على أنّك لم تُرِد أنْ تُحَدِّث الناس ،ولا مَنْ تُخاطِب بأمرٍ جَهلُوه ،ولكنهم قد عَلِموا من ذلك ما قد علمتَ ،فجعله ثناءً وتعظيمًا ،ونصبه على الفعل ، كأنه قال : اذكر أهل ذاك ،واذكر المقيمين ،ولكنّه فعلٌ لا يُستعمَل إظهاره وهو شبيه بقوله :إنّا بني فلان نفعل كذا ؛ لأنه لا يريد أنْ يُخبَر مَنْ لا يدري أنه من بني فلان ،ولكنه ذكر ذلك افتخارًا وابتهاءً "[٥١] .

٧ - إنّ مفهوم القصدية التي نظرّ لها أوستين وسيرل كانت معروفة لدى علماء الأصول وأهل الكلام من المعتزلة بـ (نظرية القصد) التي ارتبطت بالمواضعة ، فالمواضعة مؤسسة على قانون القَصد[٥٢] .

٨ - إن ما جاء به أوستين في جوهر نظرية فعل الكلام ، وتأثير فعل القول ، هو مقابل لما سبق إليه علماؤنا العرب عند الشيخ عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم[٥٣] .

وكما نبهّنا إلى أننا لسنا هنا في معرض المقابلة والمقارنة المفصلّة لكن حسبنا الاستدلال على تعارف العرب وتداولهم أنظار الفكر الفعلي الكلامي في مباحثهم اللغويّة التي كوّنت لُبَّ نظرياتهم ، وصُلب أبحاثهم بما يدلّ على عمق التفكير اللغويّ التي مكّنَتهم من صوغ نظرية لسانية عربية أصيلة . إلا أن البحث العربي لم يكن بدافع القصدية في البحث ،فجاءت تنظيراتهم رهم في تضاعيف مباحثهم يقول الدكتور مسعود صحراوي : " إن ظاهرة (الأفعال الكلامية) قد بُحثت في تراثنا من لدن طوائف متعددة ،غير أن البحث فيها في تضاعيف هذا التراث الضخم لم يكن مقصودًا دائمًا لذاته ،ولكن كثيرًا ما قُصد به غيره ، فاتخذت الظاهرة - مِن ثَمَّ – وسيلة لا غاية ،وجُعلت مدخلًا لفهم علوم أخرى ،وهي علوم غير

لغوية في الغالب ،فتوزعت الظاهرة بين فروع معرفية متعددة ،وخاض فيها علماء أجلاء ،إلا أنهم لم يُفردوها بالبحث والتأليف، ولا قصدوها لذاتها مما قد يبعث الشك في قيمة النتائج التي توصلوا إليها وفي علميتها" .(٥٤)
وتحقيقًا لِمَا سَبق يمكننا القول أن التداولية عِلمٌ قديمٌ في التراث اللغويّ العربيّ ،امتلك ناصية الأصالة وحصّل قصبَ السَبق، لكّنه لمْ يأخذْ نصيبًا من التنظير والتأصيل في الفكر اللغويّ العربيّ رغَم وُجود مَلامِح ضَبابية لهُ.
فضلًا عن ذلك أن التداولية بمستوياتها المختلفة ، وغيرها من المباحث اللسانية الأخرى ...
لا تعدو كونها استراتيجيات جديدة في تحليل الخطاب.....ولا يخفى على المتتبع والقارئ مسألة تلاقح الحضارات وتناقل العلوم والمعارف والثقافات ، فالحضارة العربيّة حضارة عريقة عرفت بتأريخها ومجدها وفلسفتها الروحيّة والدينيّة والتأثيريّة وكل ذلك امتلكته بناصية اللغة التي كانت في وقت سابق فرض عين لمن يريد اعتناق الدين الجديد، وفهم تعاليمه وشريعته وكان سيِّدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يحث على تعلّم اللغة العربية فهي لغة الدين والأخلاق : " تعلَّموا العربيةَ؛ فإنها من دينِكم، وتعلَّموا الفرائضَ؛ فإنها من دينكم" (٥٥).

- **صراع الذات بين الأصالة والمعاصرة**

إنّ المُتتبِّع لمسار الدرس اللساني المعاصر على تنوع مباحثه السيميائية ، والتداولية، ونظرية الفعل الكلامي، و لسانيات النص وغيرها .... يُدرك أن اللغة العربية في بعدها اللساني حققت طاقتها التفاعلية عبر عصور تكوينها في مسارات ثلاثة ، وما بين هذه المسارات تحيّر الباحث العربي والدارس – ولا سيّما - طلابنا في الدراسات العليا في كتابة رسائلهم وأطاريحهم ...فإلى أي طريق يتجه ؟ وعلى أي ضفة يقف ؟ فنراه تارةً مُحافظًا ينادي بالأصالة والتأصيل، وتارةً مُقلدًا لكل جديد محدث ينادي بالتجديد والاختراع ، وأخيرة يتوسط بين المنهجين. مما يعد إشكالية في الدرس اللساني .
وسنقف على هذه المسارات البحثية ،وهي على النحو الآتي :

١- الأول مَرْجِعي عَربيَ تأصّيليّ : استمد رؤيته الفكريّة والفلسفيّة من كنوز التراث وخزائنه الموروثة.

إنّ انتاج العرب المسلمين الأوائل للمفاهيم اللسانية على اختلاف مباحثها ودراستها في حقبةٍ سابقةٍ يشير إلى أنه حازوا قصب السبق تأريخيا مع تنامي توجه مرجعي تأصّيليّ للحفاظ على لغة القرآن الكريم، ولغة الهُويّة العربيّة الإسلاميّة التي تحتفظ بخصوصيتها الحضاريّة والدينيّة والثقافيّة بما يميّزها عن سائر اللغات ،وقد مثّل هذا الاتجاه رعيلٌ مُحافظ على اللغة العربية وشديد الغيرة عليها ومنهم :الدكتور رشيد العبيدي قائلًا" إنّ العربيّة مع ما وصل إلينا من دراسات في اللسان العربيّ ، وقوامة هذه الدراسات ،وإيفائها بما يحتاجه البحث المعاصر من معرفة وفهم وإدراك لما كانت عليه، وما آلت إليه الدراسة اللغويّة الحديثة – ولا سيما الأوربية - ينبغي لها أن تكون بمنأى أن يقحمها الباحثون العرب في تلك المآزق والمجاهل التي لا تخرج منها إلا بتناحرات وتناقضات مذهبية ليست العربية بحاجة إليها ،ولا تمت إليها بصلةٍ، فكيان العربية وشخصيتها وأصولها وأثارها الواصلة الينا قد اكتسبت درجة الاكتفاء الذاتي ،وحملت معها عناصر بقائها وديمومتها ،واستمرار قوتها وسر حيويتها وحركة إنعاشها ببقاء كتاب الله العزيز ،وبهذا التراث العظيم الواصل إلى أبنائها مُدوّنًا ومحفوظًا ومدروسًا مُكوِّنًا زادًا ، و ثراءً ومَعينًا لا ينضب يستمد منه ابناؤها ما هم بحاجة إليه من التغذية والتوعية والتثقيف "(٥٦) .

بينما يرى بعض الباحثين وجوب اخضاع الدرس اللغويّ القديم إلى المناهج والأدوات والفرضيات المُبتكرة ،ومنهم مَنْ ذهب إلى المغالاة التي لا نتفق معه بها إلى أن هذه المناهج الوحيدة القادرة على بعث الحياة وإعادة الوجه المشرق له يقول د. محمود الذوادي " إن اللّسان العربيّ بكل تحققاته ، وفي جميع تجلياته هو بحاجةٍ ماسّةٌ اليوم إلى أن يكون خاضعاً للتحليل اللساني ،وقد يتفق هذا التحليل اللساني الحديث مع بعض التحاليل أو لا يتفق. المهم إخضاع هذا اللسان للدراسة والوصف وفق مناهج جديدة قد تختلف كثيرًا أو قليلًا عن المناهج النحوية القديمة ،وذلك بتطبيق أدوات جديدة والقيام بإجراءات حديثة ،وتسليط جملة من المفاهيم السائدة ، والانطلاق من افتراضات أو فرضيات مبتكرة ابتكرها العلم الحديث ،وهذا في الحقيقة ليس عيبًا يجب أن نحترز منه ،وإنمّا ضرورة علمية ومعرفية تمليها متطلبات العلم والموضوعية ،بل إن هذه المناهج الحديثة لعلّها وحدها القادرة على أن تمكننا من إعادة قراءة تراثنا اللساني قراءة جديدة تعيد له الاعتبار وتقيّمه التقييم العلمي الصحيح ، وتبرز ما هو خافٍ فيه وتعيد له إشراقته من دون أن نبالغ في الفصل بين القديم والحديث ، ومن دون المبالغة في الدعوة الى التوفيق بين طرفي الثنائية ،ذلك أنّ المنهج مهم في العلوم عمومًا وفي العلوم الإنسانية خصوصًا ،وليس ثمة منهج لا يتخذ من علوم عصره أداة لبلوغ الغايات العلمية المفترضة "(٥٧) .

وهذه مغالاة ومبالغة ومع اتفاقنا مع الباحث على ضرورة انفتاح الدراسات اللغوية في جميع مستوياتها التركيبية والصوتية والصرفية والدلالية والوظيفية على المناهج المعرفية الحديثة والمعاصرة ، لكن لا تحتم الضرورة إلزامها بتطبيق هذه المناهج وإقحامها في مباحث الدرس اللغوي القديم مع صلاحية تطبيق البعض منها ،ذلك أن اللغة العربية لغة أصيلة في تأريخها وأصولها الاشتقاقية ونظامها بين اللغات بما يعد وجهًا يتلألأ أصالة بين اللغات ،وما ظهرت حديثا - باعتراف الباحث نفسه - لا يعدو كونها مناهج تحليلية جديدة ،وأدوات جديدة لسبر أغوار النصوص الإبداعية .

وهذا يقودنا الى تساؤلات مهمة وجوهرية للغاية في الدرس اللساني طالما تساءلها كثير من الباحثين اللسانين وهو اقتصار ظهور هذه المناهج الجديدة عند الغرب وليس عندنا نحن العرب ....ونسبة هذه المناهج والنظريات اللسانية إلى الغرب وحدهم والتشكيك بعدم وجود نظرية لسانية عربية موحدة .. ؟ ولِم تنازعت الرؤى النقدية في قبول البحث اللساني المعاصر، أو رفض إقحامه في الموروث العربي ؟ .

إنّ ظهور هذه المناهج الحديثة كان وليد مرجعيات فكريّة، وفلسفات معينة ، وغالبًا ما ترتبط بالبيئة المُنتجة لها ، التي قد تصلح لبيئة دون أخرى ،وهذه البيئة المُنتجة لها تختلف في تكوينها ونظمها ، وشخصيتها عن الأخرى مما كان مدعاة لرفض الباحثين تطبيقها في البحث اللساني ؛ " إذ إنّ البحث اللسانيّ المُعاصر بحث أوجدته ظروف اللغات الأوربية التي تختلف في انتماءاتها ، وتكوينها ، وبيئاتها، وشعوبها المُتكلِّمة بها ، وتأريخها ،وطبيعتها عن العربية وظروفها ، اختلافًا كبيرًا يجعلنا في موقف رافض لكل ما يُراد من الباحثين المُعاصرين العرب أن يسلكوه ،أو يتعاملوا به مع العربيّة"[٥٨] .

وإذا كانت اللسانيات قد قامت على مبدأ دراسة اللغة من أجلها ولذاتها ، فالمُلاحظ إذا ما قارنا اللغة التي درسها الموروث اللغوي القديم هي (اللغة العربية) وهي لغة الدين والقوم ،واللغات التي تبحثها اللسانيات متنوعة منها :الانكليزية (التي اختلفت في أصولها عن اللاتينية الأم) والفرنسية ،والإسبانية....مما يجب ملاحظته والتنبيه على خصوصية اللغة في نظامها ومميزاتها وتأريخها والسبب كما رآه المرحوم د. رشيد العبيدي يرجع إلى " ظروف خاصة باللغات الأوربية وتطورها خلال حقب التاريخ المتعاقبة على شعوب القارة الأوربيّة ، فلقد كانت اللاتينية لغة ذات لهجات يتكلّم بها شعوب أوربا الجنوبية والغربية كالفرنسيين والإيطاليين والبرتغاليين والإسبان وشعب رومانيا ،ولكنها أصبحت فيما بعد لغات لها كياناتها المستقلة ، وشخصياتها المتميزة ،وخصائصها الإقليمية والمحليّة ، فليست الفرنسيّة كالبرتغاليّة ولا الإسبانيّة كالايطاليّة مما فرض على الباحثين اللغويين النظر في وضع برامج بحثية لغوية لوصف هذه اللغات والكشف عن خصائصها وسماتها واستنباط شعبية ضوابطها وقواعدها ،بل لقد كانت هذه اللغات تمثل لهجات شعبية ضيّقة تنحو نحو التطور والتغير مرتبطة بظروف كل بلد من هذه البلدان " [٥٩].

إنّ ظهور هذه المناهج البحثية رهين باللغة نفسها ،وتستمد قوة حضورها واعتمادها من قوة لغاتها في أصولها وأنظمتها بما يكسبها القوة والثبات عبر الأزمان وهذا ما حصل مع اللغة العربية مقارنة باللغات الأوربية " فطرق البحث في أوربا كانت تحثُّ اللغويين حثًا على العناية باللغة في أي عصر وأوان ما دامت اللغات الأوربية غير مستقرة على حال معينة من الثبات والرّسوخ على أصولها وقواعدها ، وهذا الذي تميّزت به اللغات الأوربية من التطور والتغير جعلها تختلف عن ظروف العربية التي استمدت ديمومتها من قوتها من التراث الأدبي الضخم الذي وصل إلينا عن طريق الرواية منذ عصر ما قبل الإسلام من القرآن الكريم الذي نزل بأفصح اللهجات العربية وأكثرها إشراقًا وبيانًا ،ثم من الحديث النبوي الشريف الذي حرص الرواة الأثبات المتقنون على روايته فصيحًا سالمًا من التغيير والتبديل واللحن والخطأ ،ثم من التراث الشعري والنثري بعد الإسلام حتى دخول عصر التوليد والاستحداث..." [٦٠]

إنّ هذه المناهج اللسانية لا تعدو كونها مناهج بحث وأدوات واستراتيجيات في البحث اللغوي ، واللغة العربية لغناها ورسوخها وثباتها عبر العصور لم تحتج إليها بخلاف اللغات الأخرى ، " لذلك لم يحتج العربي المعاصر إلى إعادة نظر لدراسة اللغة العربية المعاصرة ،ووضع قواعد وضوابط لها في حين احتاجت اللغات الأوربية إلى مثل ذلك النمط من الدراسة لتقرر من جديد وضع قواعد وأحكام ومعايير جديدة تضبط بها صور التغيير ،وتكشف عن الخصائص الجديدة للغة المعاصرة ،وهذا برأيي الذي دفع الكثيرين من الأوربيين إلى محاولة استحداث مناهج بحثية يستطيعون بها الكشف عمّا تتميز به اللغات الأوربية المعاصرة من سمات وخصائص " [٦١].

٢- الثاني حضاريّ مزدوج : وقف على أعتاب التراث غير مُتنكِّرٍ ، أو جاحدٍ واتجه اتجاهًا حضاريًا وثقافيًا يربط بين الدرس اللغوي القديم والمعاصر ، أو إعادة توظيف القديم بحُلّة جديدة.

وقد أورث هذا الاتجاه خلطًا في المناهج ، والمفاهيم المعاصرة ، ممّا يتوجب على الدارس أن يُحصِّل مَلكةً ، وعلومًا، وأدواتٍ تمكنه من الرؤية باعتدال ، والتعامل معها بحذر – ولا سيما - في دراسة هذه المناهج وتطبيقها على القرآن الكريم .فهي قد تصلح لحقل معرفيّ لغويّ دون الآخر .

وانقسم الباحثون بين مؤيدٍ ومُعارض لهذا الاتجاه، فقد ذهب الدكتور عبد السلام المسدي إلى عدم صلاحية القطيعة المعرفية للغة عبر مراحل تطورها ،مع المحافظة على الخصائص الأبستمولوجية للغة في كل مرحلة يقول " انبثقت اللسانيات من صميم التفكير اللغوي القديم ؛ إذ تولّدت على وجه التحديد من أرحام فقه اللغة، ولئن قامت على أساس نقد المعرفة اللغوية السابقة نقدًا شاملًا فإنها لم تستمّد علة وجودها المعرفية إلا من إعادة تأسيس القواعد المنهجية التي كانت تثق الإنسان باللغة وثاقًا علميًا . إننا لا نقر قطعًا بما يذهب إليه المُنَظِّرون لصلاحيات العلم اللساني بعد فحص سلامته المنهجية والذي يتمثل في اعتبارهم اللسانيات بديلًا للمعرفة اللغوية السابقة لها ،بل إن ما نصرُّ على إرسائه هو أنّ اللسانيات وإنْ قامت على أنقاض فقه اللغة فإنّها لا تنفي وجود علوم اللغة كما وصلتنا ،ولا تنقض المعرفة النحوية ؛لأن مشروعها قد خالف مشاريع علوم أخرى تولّدت في تأريخ الفكر الإنساني على أنقاض معارف شاخت واهترأ معماره حتى بليت فتعين تجددها ،وجاء اللاحق للسابق ." [٦٢]

فيما رفض الدكتور مصطفى غلفان ربط النحو باللسانيات الحديثة حفاظًا على خصوصيته الأصيلة ، "نحن نرفض كل دعوة قائمة على ربط أصالة النحو العربي باللسانيات ونظرياتها على نحو ما يقوم به اللسانيون العرب المحدثون الذين يحاولون إعادة قراءة النحو العربي في ضوء اللسانيات .إن أصالة النحو العربي غير مرتبطة البتّة باللسانيات الحديثة ،وإنما بالإطار الفكري والتأريخي الذي ظهر فيه هذا النحو .فالنحو العربي له مرجعيته الأصيلة الخاصة به التي تعطيه مكانته الأساسية في خضم تاريخ الفكر اللغوي اعترف بذلك الدارسون الغربيون أم لم يعترفوا ." [٦٣]

من هذا المنظور نستطيع القول إن قراءة التجربة الغربية وتطبيقها على الواقع اللغويّ العربيّ لا ينسجم مع اللغة العربية وقد رفضه كثير من الباحثين منهم د. مصطفى غلفان و د. عبد القادر الفاسي الفهري[٦٤] ؛ إيمانًا منهم بخصوصية اللغة العربيّة الحضاريّة والثقافيّة والفكريّة ،وهذا الأمر ليس قصورا في اللغة العربية ، وإنما حفاظًا عليها ،و يؤكد هذه الحقيقة العلمية أحد كبار علماء اللغة فندريس : " إننا لا نعلم إطلاقا لغة قصرت عن خدمة إنسان عنده فكرة يريد التعبير عنها، فلا ننصت إلى أولئك المؤلفين العاجزين الذين يحملون لغاتهم مسؤولية النقص الذي في مؤلفاتهم لأنهم هم المسؤولون على وجه العموم عن هذا النقص "[٦٥]

٣- الثالث :حداثي غربي معاصر تمسك بخصوصية النظريات الغربية والمناهج اللسانية دون محاولات ربط بين المروروث القديم والجديد المعاصر .

وكان للترجمة الأثر الكبير في عملية التأثر والتأثير بين اللغات ،ولها النصيب الأكبر في الاطلاع على هذه المناهج اللسانية ، ونقل نتاج فكر الأمم المجاورة ، والاطلاع على ما كُتبت به اللسانيات الغربية باللغة الإنكليزية والفرنسية يقول د. مازن الوعر : " لا يمكننا - نحن العرب – معرفة هذا العلم الجديد إلاّ من خلال نافذة اللغات الأجنبية الإنكليزية أو الفرنسية ؛ذلك أنه للحق وللتأريخ وإنصافًا للعلم والعلماء ، لا يمكننا إلا أن نعترف بأن اللسانيات الحديثة هي محض العقلية الغربيّة التي أنتجتها " [٦٦] .

فَمَنْ يُريد أنْ يَلج باب اللسانيات المعاصرة عليه اتقان لغة أجنبية ، للوقوف بقدم راسخة على أصل هذه العلوم اللسانية ،ومعرفة أصولها تنظيرًا وتطبيقًا .

وتأسيسًا لما سبق يرى د. عبد القادر الفهري عدم وضوح الرؤية المنهجية للبحث اللساني العربي وتذبذبها " فاللسانيّات المكتوبة بالعربيّة (بما فيها اللسانيات العربيّة) مازالت غير ناضجة في أغلب الحالات ، فمنه البحث التقليدي الذي لا يواكب نظريًا على الرغم ممّا قد يكون فيه من جهد تأريخي أو وصفي ، ومنه البحث الذي يغرق في المرجعيات الغربية ولكن ينقصه التطبيق المقنع ،بل حتى مواكبة النظرية التي يدّعيها" [٦٧] .

ومن جهة أخرى يرد أسباب الضعف والصعوبات التي تواجه عمل الباحث ،والكاتب الكتابة اللسانية باللغة العربية إلى : تباين المصطلحات ، وضعف ذائقة الجمهور المتلقي ، والبيئة المثقفة ثقافة لسانية معاصرة، واتقان الترجمة وضمان الدقة المصطلحية وجودتها [٦٨].

على الرغم من تعدّد وجهات النظر التي تطرحها اللسانيات والتداولية بمنظورها الغربي ، الذي لا جدال في صلاحية بعض منها للتطبيق ،إلا أن تعدد الرؤى علامة صحيّة يسمح بمناقشة الآراء ، ويفتح باب الاجتهاد العلمي المستند الى الحجة والدليل العلمي... بيد أن المشكلة الحقيقية التي تواجه اللغة العربية على مدى عصورها الفكرية وهي الصراع بين التراث والمعاصرة ،وهو صراع قديم عزاه د. مازن الوعر إلى سبب نفسي :

"إن أساس الصراع بين الأصالة اللغوية والمعاصرة اللسانية ليس صراعًا بين الأعمال اللغوية التراثية التي وضعها العرب القدماء ،وبين الأعمال اللسانية المعاصرة التي وضعها علماء اللسانيون المحدثون في الغرب ،إنما الصراع في جوهره يكمن بين الباحثين العرب أنفسهم (كامتداد للأزمة النفسية الفردية التي يعاني منها إنساننا العربي) بين الباحثين الذين يشدهم التاريخ القديم إلى أقصى مسافات اليسار ،وبهذا فإنّ المعادلة الثقافية ستكون عرضة للاهتزاز والتفكك ،وستحقق معاناة إقامة التوازن بين الأصالة والمعاصرة " [٦٩]

إن مسألة الصراع بين القدامة والحداثة جدال عقيم لا يفضي بنا إلى غير النقاش والتنافس والتناحر بعيدًا عن الهدف الأساس وهو خدمة اللغة ...

ورأينا أن الدرس اللسانيّ الحديث والمعاصر يدين للدرس اللغويّ القديم بهذا المصطلح وغيره من الدراسات والمباحث اللسانية ؛ ذلك أنها كانت معروفة لدى العرب مفهوما وبمصطلحات مختلفة ،وكانوا يشيرون إليها بالتَعارُف تارة، وبالتَنَاقل تارة أخرى وهذه حقيقة مهمة سجّلها أكثر من باحث ...

ويرى د. عبد السلام المسدي أن الفضل للسانيات المعاصرة في التنظير لمنهجية البحث اللغوي الحديث منهجًا لا موضوعًا ،وهذا أنتج تباينًا في الهُويّة، حيث نجد "إن اللسانيات لم تكن أسبق المعارف إلى اتخاذ الظاهرة اللغوية موضوعًا للبحث ، وقلنا إنها لذلك السبب لا تستمد علة وجودها من اكتشاف مادة جديدة في المعرفة الإنسانية ،فالنحو بمفهومه الواسع أسبق إلى اتخاذ اللغة موضوعًا للعلم ،ولكنّ اللسانيات وإن شاركته بموضوعه ،فإنها قد استحدثت أسلوبًا في تناول الظاهرة ،والعلوم إذا اختلفت في المنهج تباينت في الهوية ، وهذا هو الذي أكسب اللسانيات شرعية العلم المستقلّ بذاته . ولمّا كانت اللسانيات مدينة بعلّة وجودها للمنهج أكثر ممّا هي مدينة للموضوع ، فإنّه صار مُتعينًا أن المسار المنهجي الذي توخّته اللسانيات مذ اكتسابها الشرعية المعرفية لا يمكن أن تتضح أعماقه إلا إذا تم ربطه بنشأته التأريخية وتمت مقارنته بالمنهج الذي سلكته المعارف اللغوية قبل ظهور اللسانيات الحديثة "[٧٠]

أما في الدرس اللغوي القديم فقد جاءتْ مَسألة التَنْظير عمَلية لاحِقة لعمَلية التَأسِيس ؛ إذْ " أنّ العَرَب قَديمًا لم يُؤسِّسوا فِكرًا مُصْطلحيًا يَقُوم عَلى التَنْظير ،وَضَبْط الأُسْس المَعْرفيّة والفلسفيّة لِعلم المُصْطلح ،بَل عَرِفُوا تَفْكيرًا فِي المُصْطلح ؛بِسَبب الحَاجَة المُلِّحة إليه فِي عَصْرهم الذّي نَشَأتْ فِيه عِدة عُلومٍ اسْتَدعَتْ وَضْعُ مُصْطلحات مُنَاسبةٍ لَها في التصْنيف والاسْتِعْمال" [٧١]

ومن خلاصة القول أنّ اللغة العربية قد عبّرت عن طواعيتها وقدرتها على التواصل مع الدرس اللساني المعاصر في إنتاج مصطلح (التداولية) وتوليده ، وقد استمد دلالته ومفهموه من دلالته اللغوية والعرفية ،على حين تعددت

المصطلحات المُترجَمة والمقابلة لهذا المفهوم بين البراغماتيك ، والبراجماتيكية ،ومنهم من خلط بينها وبين النفعية (الذرائعية).

وعلينا ألا نتجاهل مسألة في غاية الأهمية وهي تلاقح الثقافات ،وتناقل العلوم ،وأثرها في استنباط النظريات المعرفية ، فالتنظير لهذه المناهج كان تنظيرًا غربيًا بحتًا إلا أن مرجعياتها الفلسفية وأهدافها كانت حضاريّة وثقافية مشتركة :" صحيح أن اللسانيات هي نظرية غربية ، ولها منطلقها الفلسفي، وهدفها النفعي البراغماتي لا ينتميان إلى الغرب ،وإنما هما ملك حضارة الإنسان المعاصر الخارج عن نطاق الجنس والهوية والعرق " [٧٢] .

كما أن الفارق بين الأمم أيدولوجيًا يرجحه تباين استخدامات نتائج العلم ؛ إذ " إن الاختلاف الواحد بين الأمم يكمن في اختلاف الاستخدامات لنتائج العلم تتبع الأيدولوجيات في العالم .أما قضية استخدام الوسائل والأساليب والتقنيات العلمية والتوصل إلى هدف أو غاية علمية معينة ،فإنها مسألة مشتركة بين جميع الحضارات الحديثة " [٧٣] .

الخاتمة

جاءت هذه الدراسة في قراءة موزونة لواقع البحث اللغويّ التراثيّ واللسانيّ المعاصر، ورفع الإشكال عن المواقف الفكرية التي تُورُث اللبّس والانبهار. ومن أهم ما استخلصته :

١- بحث المفاهيم اللسانية في الدرس المعاصر منها التداولية والنفعية ،ونظرية أفعال الكلام مفهومًا واصطلاحًا .

٢- كشفت الموازنة بين المنجز التراثيّ واللسانيّ عما يأتي:

أ- بيان أهمية الوظيفة الاجتماعية التي أكدها العلماء العرب ،وهي اللَبِنَة الأساس التي انطلقت منها الدراسات اللسانية المعاصرة.

ب- أثبتت الدراسة سبق العلماء العرب من علماء أصول وعلماء الكلام ونحويين وبلاغيين في إنتاج المفاهيم اللسانية من بينها : التداولية ، و(نظرية الفعل الكلامي) التي كوّنت صُلب أبحاثهم وفكرهم اللغوي الفذّ، مما جعلهم روّادًا في تأسيس نظرية لسانية عربية أصيلة ، بيد أنها لم تأخذ نصيبها من التنظير والتأصيل في الفكر اللغويّ العربيّ القديم .

ت- نادى البحث بالحفاظ على خصوصية البحث اللغوي وهُويتهُ قديمًا وحديثًا، آخذين بنظر الاعتبار مسألة التلاقح الفكري بين الحضارات والثقافات وأثرها في استنباط النظريات المعرفية، فقد أثبتت اللغة العربية عبرالأزمان رسوخها وثباتها وطواعيتها في إنتاج المفاهيم المعاصرة وتطويرها ، وإنّ الموروث التراثي هو نتاج عقول فذّة وأزمان زاهرة ، والحداثة والمعاصرة نتاج أمم تباينت فكرًا ولغةً وذوقًا . ومن الضرورة قراءة الجديد ومتابعته، لا بل وتحصيله ؛ فهو ثقافة لا غنى للباحث عنها بعد الغزو الثقافي واللساني والفكري ، ولكن يجب أن يقرأ اللغة بعين الميزان مراعيًا أنّ لكل لغة خصائصها وبيئتها وثقافتهاالتي أنتجتها .

ث- النظر لخصوصية البحث اللساني المعاصر وإشكالياته كونه وليدَ مرجعيات فكرية وفلسفات معينة ، وإن تنظير الدرس الغربي للمناهج والنظريات اللسانية كان غربيّا، وهي لا تعدو استراتيجيات جديدة في تحليل الخطاب قد تثبت صلاحيتها لحقل لغوي معين دون الآخر .

ج- تنازع الرؤى النقدية في قبول البحث اللساني المعاصركان له الأثر الكبير في تباين مسارات الدرس اللساني المعاصر وتشتته بين التأصيل ، والتقليد ،والمعاصرة ، وقد بيّنا أن جدلية الصراع بين القديم والحديث ، و بين الأصالة والتجديد لا تغني من الدرس شيئًا وهي تُردُ في أصولها إلى :

١-الفارق الأيدلوجي بين الأمم للأختلاف الحاصل في استخدامات نتائج العلم ،وهو مُتأتٍ من تباين الأيدلوجيات الفكرية والحضارية .

٢-تباين الواقع اللغوي للمفاهيم اللغوية القديمة، واللسانية المعاصرة التي تعود في مُجملها إلى المتلقي ،والواقع اللساني وإجراءاته .

هوامش البحث

---

[١] التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي : ٥ .

[٢] أساس البلاغة، الزمخشري، مادة (دول) : ١/ ٣٠٣.

[٣] لسان العرب مادة (دول) : ٥ /٣٢٨ .

[٤] التداولية من اوستن الى غوفمان ، فيليب بلانشيه ، ترجمة : صابر الحباشة : ١٨.

[٥] التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي : ١٦.

[٦] المرجع نفسه : ١٩ .

[٧] التداولية من أوستن إلى غوفمان :١٩.

[٨] نظرية الفعل الكلامي ، د. هشام عبدالله الخليفة : ٢٣.

[٩] التداولية من أوستن إلى غوفمان : ١٧ .

[١٠] المرجع نفسه : ٢٨ .

(١١) نظرية الفعل الكلامي ، د. هشام عبدالله الخليفة : ٢٦ .
(١٢) ينظر: التداولية من أوستن إلى غوفمان : ١٧
(١٣) محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ،د. نعمان بوقرة :١٧٦.
(١٤) ينظر : آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، د . محمود احمد نحلة : ٩٠.
(١٥) علم اللغة العام ، فريناند دي سوسير، ترجمة : د. يوئيل يوسف عزيز : ٢٧ .
(١٦) الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج من خلال مجلة اللسانيات ، أ . منصور ميلود ،ع ٧: ٨.
(١٧) الخصائص ،ابن جني : ٣٩/٢
(١٨) مقدمة ابن خلدون : ٤١ .
(١٩) المرجع نفسه :٥٥٤ .
(٢٠) علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر :٦٨.
(٢١) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية ، د. احمد عبد العزيز دراج :٩٦ .
(٢٢) المرجع نفسه : ٩٦ .
(٢٣) المرجع نفسه : ٩٧ .
(٢٤) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها ، د. تمام حسان : ٣٣٩.
(٢٥) الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية: ٩٦ ،وينظر : اللغة العربية معناها ومبناها : ٣٢ وما بعدها.
(٢٦) نظرية التلقي ، د. بشرى موسى صالح :١٦ .
(٢٧) ينظر : مفتاح العلوم للسكاكي : ١٦٨.
(٢٨) مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية ، د. كريم حسين ناصح : ٢٣ .
(٢٩) ينظر: النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د. هناء محمود اسماعيل : ٢٣٣-٢٤٨.
(٣٠) المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ، د. خليل احمد عمايرة : ٣١٥ .
(٣١) ينظر: نظرية الفعل الكلامي ، د.هشام الخليفة :٣٩ .
(٣٢) التداولية عند العلماء العرب : ١٠ .
(٣٣) المرجع نفسه : ١٠ .
(٣٤) المرجع نفسه : ١٠ .
(٣٥) المرجع نفسه : ٤٠ .
(٣٦) المرجع نفسه : ٩ .
(٣٧) ينظر : نظرية أفعال الكلام العامة (أوستين) ، ترجمة : عبد القادر قينيني :٢٥.
(٣٨) المرجع نفسه : ١١٦ .
(٣٩) ينظر: نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات، منصوري مصطفى : ٤٢.
(٤٠) المرجع نفسه : ٤٢.
(٤١) ينظر: نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات، منصوري مصطفى : ٤٢-٤٣ .
(٤٢) ينظر: مدخل إلى علم النص ، زتستيلاف وأورزنياك ، ترجمة : د. سعيد بحيري : ٣٠.
(٤٣) ينظر : التداولية من أوستن إلى غوفمان فيليب بلانشيه ، ترجمة : صابر الحباشة :١٩ وما بعدها ، نظرية أفعال الكلام (أوستين) ترجمة : عبد القادر قينيني : ١١٥ وما بعدها . ونظرية الفعل الكلامي : الفصل الأول ٣٩ وما بعدها) .
(٤٤) النحو القرآني في ضوء لسانيات النص : ٢٤٦.
(٤٥) التداولية من أوستن إلى غوفمان : ٢٠
(٤٦) نظرية الفعل الكلامي :٢٢٦ .
(٤٧) المرجع نفسه :٢٢٦ .
(٤٨) نظرية الفعل الكلامي: ٢٧٠ -٢٧١ .
(٤٩) المرجع نفسه : ٢٢٩
(٥٠) المرجع نفسه: ٢٣٠ .
(٥١) الكتاب ٧٠/٢ .
(٥٢) ينظر التفكير الدلالي عند المعتزلة ،د. علي حاتم الحسن : ٤٣ .
(٥٣) ينظر نظرية الفعل الكلامي ، د. هشام الخليفة :٨٢ .ودلائل الإعجاز ، عبد القاهر الجرجاني : ٤٨ .
(٥٤) التداولية عند العلماء العرب :٧- ٨.
(٥٥) مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ،مرعي الحنبلي : ٥٥.
(٥٦) الألسنية المعاصرة والعربية ، د. رشيد العبيدي : ٢٥.
(٥٧) اللسان العربي وإشكاليات التلقي ، بحث (اللسان العربي الحاضر والآفاق) ، د. عبد الحميد عبد الواحد :٦٦.
(٥٨) الألسنية المعاصرة والعربية : ٣١.

(٥٩) المرجع نفسه: ٣١ .
(٦٠) المرجع نفسه :٢٠ .
(٦١) المرجع نفسه : ٢١ .
(٦٢) العربية والاعراب ، د. عبد السلام المسدي:١٧ .
(٦٣) في اللسانيات العامة ،د. مصطفى غلفان :١٢٦ .
(٦٤) ينظر ذرات اللغة وهندستها ، د. عبد القادر الفاسي الفهري : ١٠
(٦٥) اللغة ، فندريس : ٤٢١.
(٦٦) قضايا أساسية في علم اللغة الحديث ، د. مازن الوعر : ٣١ .
(٦٧) ذرات اللغة وهندستها ، د. عبد القادر الفهري : ١٠ .
(٦٨) المرجع نفسه :١٠-١١.
(٦٩) قضايا أساسية في علم اللسان الحديث :١١١-١١٢.
(٧٠) اللسانيات وأسسها المعرفية ، د. عبد السلام المسدي : ١٠٩ .
(٧١) المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ، د. خليفة المسياوي :٣٧.
(٧٢) دراسات لسانية وتطبيقية ، د. مازن الوعر: ٣٩ .
(٧٣) المرجع نفسه: ٣٩ .

ثبت المصادر والمراجع

- الاتجاهات المعاصرة في تطور دراسة العلوم اللغوية ،د.أحمد عبد العزيز دراج ، مكتبة الرشد ناشرون ٢٠٠٤م .
- أساس البلاغة، الزمخشري، تحقيق ، محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط ١ ، ١٩٩٨م .
- آفاق جديدة في البحث الغوي المعاصر، محمود احمد نحلة، دار المعرفة الجامعية ، ط١ ، ٢٠٠٢م.
- التداولية عند العلماء العرب ، د. مسعود صحراوي ، دار الطليعة بيروت،ط١، ٢٠٠٥م.
- التداولية من أوستن إلى غوفمان فيليب بلانشيه ، ترجمة صابرالحباشة ،دار الحوار ، ط١ ، ٢٠٠٧ م .
- التفكير الدلالي عند المعتزلة ،د. علي حاتم الحسن ،دار الشؤون الثقافية ، بغداد ، ط١، ٢٠٠٢م .
- الخصائص ، ابو الفتح عثمان بن جني(ت٣٩٢هـ) ،تحقيق محمد علي النجار، الهيئة المصرية ،القاهرة،ط٤ ،١٩٩٩م.
- دراسات لسانية وتطبيقية /د.مازن الوعر ،دار طلاس ،دمشق ، ١٩٨٩م.
- دلائل الإعجاز ،عبد القاهر الجرجاني ،مكتبة سعد ،دمشق ،ط ٢، ١٩٨٧م.
- ذرات اللغة وهندستها ،د.عبد القادرالفاسي الفهري ،دار الكتاب الجديد ،ط١ ، ٢٠١٠م .
- العربية والاعراب عبد السلام المسدي ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،بيروت ، ط١ ، ٢٠١٠م .
- علم الدلالة ، د. أحمد مختار عمر ، دار العروبة ، ط١ ،١٩٨٢ م.
- علم اللغة العام ، فريناند دي سوسير، ترجمة د، يوئيل يوسف عزيز ،دار آفاق عربية ، بغداد ، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.
- فندريس: اللغة : ترجمة عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة.
- في اللسانيات العامة ،مصطفى غلفان ،دار الكتاب الجديد المتحدة ،ط١ ، ٢٠١٠م.
- قضايا أساسية في علم اللغة الحديث ،د.مازن الوعر ،دار طلاس ،سورية ،ط١ ، ١٩٨٨ م .
- الكتاب، عثمان بن قنبر سيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، الخانجي، القاهرة ، ط٣، ١٩٨٨ م .
- اللغة العربية معناها ومبناها ،د.تمام حسان ،عالم الكتب ،ط٤ ،٢٠٠٤م.
- لسان العرب، دار صادر، لبنان،ط١،٠ ٢٠٠م .
- اللسان العربي وإشكاليات التلقي ،(مجموعة باحثين)، مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت ،ط١، ٢٠٠٧م .
- اللسانيات وأسسها المعرفية ،د.عبد السلام المسدي ،الدار التونسية للنشر، ط ١ ،١٩٨٦ م.
- محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة ، نعمان بوقرة ،منشورات باجي مختار، عنابة، ٢٠٠٦م.
- مدخل إلى علم النص ، زتسيلاف وأورزنياك ، ترجمة : د. سعيد بحيري ،مؤسسة المختار،القاهرة،ط١، ٢٠٠٣ م .
- المسافة بين التنظير النحوي والتطبيق اللغوي ،د.خليل احمد عمايرة ، دار وائل ،عمان ، ط ،٢٠٠٤ م.

- مسبوك الذهب في فضل العرب وشرف العلم على شرف النسب ، مرعي الحنبلي (ت١٠٣٣هـ) ، تعليق علي حسن علي عبد الحميد ، عمان ، دار عمار ١٩٨٨ م.
- المصطلح اللساني وتأسيس المفهوم ،د.خليفة المسياوي ، دار الأمان ،الرباط ،ط١ ،٢٠١٣ م.
- مفتاح العلوم للسكاكي ، أبو يعقوب يوسف بن محمد بن على السكاكى ٦٢٦ هـ المحقق : عبد الحميد الهنداوي ، دار الكتب العلمية ،بيروت،ط١ ، ٢٠٠٠م.
- مقدمة ابن خلدون ، دار القلم، بيروت، ط١ ،١٩٧٨م .
- النحو القرآني في ضوء لسانيات النص ، د، هناء محمود اسماعيل ، دار الكتب العلمية ، بيروت ،ط ١، ٢٠١٢ م .
- نظرية أفعال الكلام العامة (أوستين ،كيف ننجز الأشياء بالكلام) ترجمة عبد القادر قينيني ،دار افريقيا الشرق،١٩٩٤ م.
- نظرية التلقي أصول وتطبيقات ، د. بشرى موسى صالح ، دار الشؤون الثقافية ، بغداد ،ط١ ،١٩٩٩م.
- نظرية الفعل الكلامي ، د. هشام عبدالله الخليفة، مكتبة لبنان ناشرون ،ط ١، ٢٠٠٧م.

المجلات والدوريات

- الألسنية المعاصرة والعربية ، د. رشيد عبد الرحمن العبيدي ، مجلة الذخائر ، لبنان ،ع١ ،٢٠٠٠م .
- الفكر اللساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من خلال مجلة اللسانيات ، أ. منصور ميلود ، مجلة العلوم الإنسانية /جامعة محمد خيضر، بسكرة ،٢٠٠٥،العدد السابع .
- مراعاة المخاطب في الأحكام النحوية ، د.كريم حسين ناصح ، مجلة المورد العربي ،ع ٣ ، ٢٠٠٢ م .
- نظرية أفعال الكلام في الخطاب التخييلي بين سيرل وجينات، منصوري مصطفى ، مجلة الأثر اشغال الملتقى الدولي الرابع في تحليل الخطاب .